محاكمة الروح بعد الموت عند قدماء المصريين[1]

(ترجمتها من كتاب الموتى وهو أقدم كتاب في العالم) [2]

يظهر الإنسان في الحال بعد الموت أمامحكمة أزوريس لمحاسبته عما فعل من الحسنات واقترف من السيئات ليلقى الجزاء العادل.

يرأس أزوريس الإله الصالح محاكمة العدل الكبرى، جالسا على عرشة في ناووس قائم في صدر القاعة، المكلل سقفها بالقناديل وعلامات الحق، وأمامهو أحفاده أبناء حورس وآلهة أربعة أركان العالم، ومعهم اثنان وأربعون قاضياً بعضهم برؤوس بشرية وبعضهم برؤوس حيوانية، وعلى رأس كل منهم ريشة نعامة رمزاً للمعبودة (ماعت) ممثلة الحق والاستقامة والعدل، وفي يد كل منهم سيف لقتل الخاطىء ووظيفتهم ملاحظة ما يظهر في كفتى الميزان الذي يزن الحسنات والسيئات، ومراقبة ذلك بكل دقة وتطبيق نتيجتها على أقواله، وأمام الزوريس وحش يدعي باللغة المصرية (مم) أي المفترس، وأعضاء جسمه على أشكال مختلفة من جاموس البحر والتمساح والأسد تراه متحفزا لافتراس الميت إذا رجحت كفة ميزان خطاياه.

يقف الميت على باب قاعة العدل خائفا مرتعدا في هذه الساعة الرهيبة التي يكون فيها الفصل النهائي في أمر خلاصة أو هلاكه الأبدي وينفي عن نفسه ارتكاب المحرمات قائلا:

---

(1) إن الأبواب "عقيدة قدماء المصريين بخلود النفس وبالحياة الآخرة، ومحاكاة الروح بعد الموت، وعلاقة السحر بالطب عند قدماء المصريين" اقتطفتها هنا من كتابي الأدب والدين عند قدماء المصريين.

(2) أنظر الرسم صفحة

(١) مرافعة الميت عن نفسه عل باب قاعة المحكمة:

" سلام عليكم أيها الإلة العظيم صاحب الحق، أني جئت إليك يارب خاضعاً أمامك لأعاين مجدك، أني أعرفك وأعرف اسمك وأسماء الإثنين والإربعين قاضيا الجالسين معك في قاعة الحق، والمتغذين من لحوم العصاة والمرتوين من دمائهم في هذا اليوم العظيم وفي هذه الساعة الرهيبة. لقد أتيت إليك يا إلهي متحليا بالحق متخليا عن كل خطيئة، فإني لم أظلم أحداً، ولم أسلك طريق الشر، ولم أحنث في يمين، ولم أشته امرأة قريبي ولا مال غيري، ولم أكذب قط، ولم أخالف الأوامر الإلهية، ولم أسع فيب ضرر عبد عند سيده،ز ولم أجوا أحداً، ولم أسبب بكاء لأحد، ولم أقتل أبدا، ولم أسرق خبز المعابد، ولم أحرز مالا حراما، ولم انتهك حرمة جثث الأموات، ولم أرتكب الفحشاء، ولم أدنس الأشياء المقدسة، ولم أبع القمح بثمن باهظ، ولم أطفف الكيل؛ ولم أغتصب اللبن من فم الرضيع؛ ولم أقتنص طيور الآلهة، ولم أطارد حيواناتها، ولم أتصيد الأسماك المقدسة من بحيراتها، ولم أخالف نظام الري، ولم أقطع قناة في ممرها، ولم أتلف الأراضي الزراعية؛ ولم أطفىء النار الموقدة في المعابد والطرق العامة؛ ولم أخالف إرشادات الكتب المنزلة؛ ولم أمنع احتفالات الآلهة؛ ولم أحل بين الحيوانات ومراعيها؛ ولم أهزأ بالحق؛ ولم أخدع أحداً؛ ولم أفعل شراً ولم أحمل عاملا فوق طاقته؛ ولم أكن قو إلا ولا نماما، ولم أهن الملك ولا كاهن قريتي المقدسة؛ ولم أرفع صوتي مع أحد؛ أنا طاهر؛ أنا طاهر أنا طاهر، وبما أني مبرأ عن كل الذنوب وأعرف أسماء هؤلاء الآلهة المقيمين في قاعة الحق ؛ فأرجوا أن أكون من الفائزين"

وبعد هذا الدفاع الباهر يأخذ المعبود أنوبيس بيد الميت ويدخله في قاعة العدل، فيقف أمام كل قاض على حدته ويدعوه باسمه الذي يعرفه ويخاطبه متبرأ من كل جريمة وخطيئة؛ ثم يختم كلامه فيقول:

"سلام عليكم أيها القضاة المقيمون في اقعة الحق المبين، أنتم الذين لا تجملون بين جوانبكم إلا الحق أمام المعبود حورس، ولا تأخذكم رافة بالخاطىء عند الحساب

الرهيب نجوني في هذا الوقت العصيب من (تيفون) الفتاك الجبار الذي يتخذ لحوم الأشرار قوتا ودماءهم شرابا؛ أني جئت إليكم أيها القاضى بدون أن تدنسني شائبة؛ وليس لأحد على تبعة ولا تعرض؛ ولقد عشت بالعدل؛ ونشت الإصلاح ي كل صوب؛ حتى حمد الناس سيرتي وسريرتي تسر الآلهة؛ وتستخلص مرضاتهم؛ وتستمطر رحماتهم ورضوانهم وتبيح لي فردوس جنتهم، فكم أطعمت الجياع؛ وسقيت العطاش؛ وكسوت العراة؛ وآويت الأغراب؛ وقدمت الرابين للآلهة؛ والولائم لأرواح الأموات؛ وأوقفت سفني لأبناء السبيل؛ وكنت أبا للأيتام؛ ويدا للأقطع والأشل، وقدما للأعرج؛ك وعصا للشيخ؛ وملجأ للبائس، فلا داعي اذن لتقديم تقارير ضدي أمام الديان لأن قلبي نقي ويدي طاهرتان"

(٢) صدور الحكم

ثم يعرض على الميزان والمعبودة (ماعت) ممثلة الحق والاستقامة جاثية في كتفه اليمني ؛ وقلب هذا الإنسان في الكفة اليسرى رمزاً لاعماله؛ وهو المنوط بتأدية الشهادة عليه. فإذا كان المتوفي صادقا في دفاعه استقام لسان الميزان. وحينما يشاهد قلبه هكذا يرتجف منزعجا ويقول له:

"أيها القلب الذي خلقت لي وأنا خلقت لك ي عالم التكوين وأتيت معي إلى الدنيا؛ لا تنازعني ولا تناقشني الحساب بين يدي الإله ومجلس القضاة في هذا الوقت الخطير واليوم العبوس؛ ولا تسقط كفة الميزان أمام أزوريس الإله العظيم والديان الرهيب"

وقد اختص بمراقبة الميزان وملاحظة كفتيه المعبودان حورس برأس صقر وأنوبيس برأس ابن آوى، وقاضي التحقيق (الإحالة) هو المعبود (تحوت) برأس الطائر إبيس حامل بيديه سجلا في أعمال الميت فيه فيدون نتيجة الحكم.

(٣) الحكم بالبراءة

فإذا اتضح أن المتوفي من الصالحين الفائزين المبرئين من كل خطيئة، وان قلبه وكل أعضائه طاهرة، نطق أزوريس الإله الابدي بالحكم النهائي فيقول له:

"فليخرج الميت فائزا من قاعة العدل، وليةذهب حيثما شاء، ولتفتح له أبواب الجنة، ولتزفه جميع الآلهة إليها، ولا تتعرض له حراس السماء بسوه ولتقدم له المؤونة والقرابين والشراب، وليعط له ثيابا من الكتان الجيد؛ وليد له قلبه، ولتوهب له حياة جديدة،و وليجلس عن يميني في الفردوس السماوي"

(٤) الحكم بالإدانة

وإذا تبين أن الميت من العصاة الإشرار يقول له أزوريس:

"إذهب عني أيها الشرير إلى الحجيم لتلاقي أشد العذاب وأمر النكال. وأنتم أيها القضاة اقتلوه بسيوفكم وتغذوا الآن من لحمه واشربوا من دمه، وانتن أيتها الأرواح الشريرة أضربنه بالحديد واحرقنه بالنار، وانت يامم الوحش المفترس قطعه اربا اربا وتغذ من أحشائه. فلين جسدك أيها الخاطىء ولتعدم نفسك؛ وليشطب اسمك من سفر الحياة، قد جعلتك غنيمة للأفاعي وفريسة للوحوش الضارية، وانتم يا زبانية جهنم اسحبوه على وجهه إلى الحجيم واقطعوا رأسه على خشبة العار ومزقوا جسمه كل ممزق وألقوه في آتون النار"